الأسقف أغسطين والمجتمع في مدينة هيبون

Bishop Augustine and Society In The City of Hippone

د. وابل أمحمد Ouabel Mohammed. Mhammed.ouabel@univ-tiaret.dz	التاريخ القديم	كلية العلوم الإنسانية / ملحقة قصر الشلالة / جامعة ابن خلدون تيارت

DOI : 10.46315/1714-010-003-034

الإرسال: 2020/05/16 **القبول**: 2020/09/03 **النشر**: 2021/06/16

ملخص: يتطرق هذا المقال إلى محاولة منا لتبيين أهم أعمال الأسقف أغسطين في مدينة هيبون (عنابة الحالية) خلال القرن الخامس ميلادي، تمثلت هذه الأعمال في المجال الديني والاجتماعي، ومن خلالها سنبرز أهم الجوانب المعرفية الخاصة بكتابات الأسقف أغسطين التي أصبحت من أهم المصادر التي يُعتمد عليها في التأريخ للأوضاع الدينية وحالة المجتمع والتعليمفي تلك الفترة، كذلك يتطرق المقال إلى بعض الإرشادات الطبية للأسقف وأهم إنجازاته في هذا المجال (أسماء أطباء قديما. وصفات طبية. معالجة الأمراض)، أمَّا في الجانب الإنساني الكشف عن بعض تدخلاته لصالح فئة العبيد من خلال ترقيتهم إلى مناصب دينية رفيعة، وجعل الكثير منهم حاملين لرسائله، كما سعى إلى محاولة الإصلاح بين أفراد المجتمع.

كلمات مفتاحية: الأسقف أغسطين؛ مدينة هيبون؛ أغسطين والطب؛ أغسطين والعبيد؛ أغسطين والمجتمع.

Abstract

This article discusses the most important works of The Bishop Augustine in the city of Hippone during the 5th century AD, in the religious and social field, through which we will Focus on his most important aspects of knowledge, which has become one of the most reliable sources in the fields of religion, society, and education, as well as the medical practices of Augustine , while on the human side his interventions on behalf of the slave group through promotion to positions of the slave population through promotion to positions High religious and his correspondents and free them from thieves.

Keywords :Bishop Augustin ; city of Of Hippone, Augustin And Medicine ; Augustin And Slaves; The Community In Hippone.

أ- مقدمة

تعتبر مدينة "هيبون" (عنابة الحالية) من أقدم المدن الجزائرية خلال الفترة القديمة، بدأت أولى المجتمعات تستقر بها مكونة تجمعات بشرية فاعلة خلال الألف الأولى قبل الميلاد، مع التفاعل المجتمعي أصبحت للمدينة أهمية اقتصادية وتجارية خاصة المرحلة البونية (القرطاجية) والرومانية، سيطرت عليها هذه الأخيرة سنة 46 ق.م، وجعلت منها بلدية رومانية كاملة الحقوق (Gascou.J, 1972:34)، مع مرور الزمن اهتمت بها كثيرا وجعلتها مدينة حرة يتمتع مواطنها بالمواطنة الرومانية ثم مستوطنة شرفية مع أواخر القرن الأول ميلادي، ترقت مع بداية القرن الثاني ميلادي إلى كنفدرالية. (Christol.M,2006:1865)، مع تواجد الأسقف أغسطين في المدينة ونظرا لأهمية في العالم المسيحي في

المنارة للاستشارات

تلك الفترة أصبحت مدينة هيبون مقاطعة كنسية (Sarr.P, 2006,84)، بعد السيطرة الرومانية على المدينة التي دامت قرابة الخمس قرون، تحررت من القبضة الرومانية، إلا انها وقعت تحت السيطرة الوندالية سنة 431 م، (Morazzani.A,1966:588)، على الرغم من مكانة المدينة خلال الفترة الرومانية وإزدهارها إلا أنها عرفت تقهقرا ملحوظا خلال الفترة الوندالية والبيزنطية، وبدأت تستعيد المدينة بريقها مع الفترة الإسلامية مع بداية القرن الثامن ميلادي ودخول الفاتحين المسلمين إليها.

خلال الربع الأول من القرن الخامس عاش في مدينة هيبون رجل دين يدعى الأسقف أغسطين، والذي يعتبر من أهم الشخصيات الدينية والفكرية الذين عاشوا في هذه المدينة، وُلد سنة (354 م) بمدينة تاغاست (سوق أهراس الحالية) من أسرة ميسورة الحال، من أب وثني يدعى باتريسيوس لم يعاصر أغسطين كثيرا فقد توفي الأب وهو لم يبلغ السابعة عشر من عمره، أمّا والدته تدعى مونيكا أنجبته وهي في العشرين من عمرها، توفي أغسطين في 28من شهر أوت سنة (430 م) مخلفا العديد من المؤلفات، كما عمل كأسقف عام لمدينة هيبون لقرابة أربعين سنة(Bourgeois.C, 1980, :228) .

كان للدين مكانة مهمة في المجتمع، فخلال القرن الخامس للميلاد سيطر معظم رجاله على الحياة اليومية للمجتمات بمختلف جوانبها، خاصة على مصادر الاقتصاد، وبذلك اصبحت طبقة رجال الدين من الطبقات االارستقراطية والمهمة في المجتمع، وعلى غرار ذلك برزت هذه الفئة بدورها في مجالات عديدة خيرية وخدماتية إضافة إلى المسائل الدينية. وفي هذا الصدد تبين لنا مصادر وكتابات الأسقف أغسطين وكتابات من عاصروه أنَّه قدَّم بعض الخدمات والمواقف الإنسانية للمجتمع في مدينة هيبون، ومن هنا نطرح الإشكالية التالية : إذا كان الأسقف أوغستين فيلسوف ورجل دين، ففيم تكمن الأعمال التي قدمها للمجتمع في مدينة هيبون، هل هي ذات طابع ديني بحت؟ أم أنها تتجاوز ذلك إلى كونها ذات طابع اجتماعي وإنساني؟ كذلك هل أعماله محلية على مستوى مدينته فقط أم كانت لها تأثير إقليمي؟

ب-1 الجانب الكتابي :

يعتبر الأسقف أغسطين من أهم الشخصيات الدينية الذين ساهموا في الانتاج المعرفي والعلمي في مدينة هيبون خلال القرن الخامس ميلادي؛ حيث ترك إرثاً أدبيا غزيراً، فقد بدأ الكتابة في سنة (386م) وهو في العقد الثالث من العمر، ويبدو أنه تأخَّر في ذلك لكن كانت له مبررات حيث الظروف الاجتماعية والرحلات حالت دون ذلك.

بعد تلك الرحلات العلمية قرَّر الإستقرار وبداية الكتابة، وعند وصوله إلى مدينة هيبون سنة(391 م) استدعي من طرف الأسقف العام لمدينة هيبون "فاليريوس" لحضور إحدى المحاضرات والأعياد الدينية، فأعجب به كثيرا من خلال معارفه اللاهوتية وطلب منه البقاء في المدينة، وقام بتعيينه نائباً له في السنة نفسها إلى غاية سنة(395م) (Salaville.S, 1922, :390)، هذا الاستقرار جعله يتفرغ للكتابة وتعتبر سنة(390م)أو(391م) كبداية لتحرير كتابه "الاعترافات ". (Joubert.C ,1992 :77)

يحتوي هذا الكتاب على ثلاثة عشر جزءاً، أجزاؤه التسعة الأولى تقريبا تتطرق إلى طفولته وأهم المشاكل التي واجهته في حياته اليومية إلى غاية اعتناقه المسيحية. تشير الدراسات ومنها كتاب

المنارة للاستشارات

"الاعترافات" أنَّ الأسقف أغسطين هاجر إلى روما وهو مانوي المعتقد (manichéen)، وأثناء دراسته الفلسفة اللاتينية واللاَّهوت واللغة والخطابة، تأثَّر ببعض رجال الدين، فبدأ يرتاد الكنيسة من حين لآخر وبفعل حضوره المتكرر ومجادلته للأساقفة تأثر بالمسيحية واعتنقها سنة (386م)، وتمَّ تعميدُه في (387م) (Mandouze.A,1982 :895)، وبالتالي أصبح مسيحيا وهو في سن الثالثة والثلاثين من العمر، أمَّا الأجزاء الأربعة من كتاب "الاعترافات" فقد تطرق فيه إلى أمور لاهوتية والبحث عن الحقيقة، انهى كتاله بعد عشر سنوات من الكتابة أي سنة (401م(Joubert.C ,1992 :77)).

بعد مدة قصيرة من إنهاء علمة الأول (كتاب الاعترافات)، بدأت جموع الأساقفة في قراءة عمل أغسطين (كتاب الاعترافات) سنة (403م)، ومن بين القراء الذين حاولوا إلى حد ما تقديم ملاحظات عن هذا الكتاب نجد الأسقف الدوناتي "بتليانوس(Petilianus)" أسقف مدينة سيرتا (قسنطينة الحالية)، حيث قام بإنجاز كتيب تمثل في دراسة نقدية تحليلية أكَّد فيه أنَّ أغسطين مازال متأثراً بالمعتقد المانوي (manichéen) ولا يمكن اعتباره مسيحياً حقاً (Joubert.C ,1992 :99)، لكن لا يمكننا الأخذ بكلام الأسقف الدوناتي بتيليانوس، أولاً للعداء الذي كان قائماً بين الكاثوليكية والدوناتية في القرن الرابع ميلادي والخامس ميلادي، وبالنسبة له أغسطين مناصرا للكاثوليكية ولا يستحق التشجيع، وانطلاقا من هذا العداء لا يمكن اعتبار قراءة بيتيليانوس منصفة لكتاب الاعترافات لأنَّ التحكيم لم يكن من رجل منصف.

بعد مرحلة فراغ في التأليف قاربت ثلاثة عشر سنة شَرعَ أغسطين في سنة(414 م) في تحرير كتاب آخر أسماه "مدينة الله" (Joubert.C ,1992 :112)، يحتوي هذا الكتاب على اثنين وعشرين جزءا يتحدث فيه عن المسيحية في المجتمع الروماني ومكانتها، كما خصَّص أجزاءً عن بداية الخلق وتاريخ المجتمعات القديمة التي واكبت الرسل والأنبياء، كما تحدث أيضا عن الفرق بين مدينة الله ومدينة الأرض، وعالج كثيرا المظاهر الاجتماعية التي كان يعيش في محيطها (Courcelle.P, 1947:359).

بعد اثنتي عشر سنة أنهى أغسطين كتابه، أي سنة (426م(Joubert.C ,1992 :112) وهو في الثاني والستين من عمره. إنَّ مرحلة الفراغ التي كانت بين كتاب الإعترافات وكتاب مدينة الله من سنة(400م) إلى غاية (414م) لم تكن فراغاً معرفياً حقيقةً، بل في هذه الفترة كتب فيها مئات الرسائل إلى السلطات العليا في روما وقرطاجة وإلى الأسقف العام في روما، كما كتب كذلك رسائل شكاوى إلى السلطات الإقليمية والرومانية ضد الطائفة الدوناتية وأهم أساقفتها من أجل أنهاء وجودها نهائيا، والتي يُعتقد أنَّ عددها وصل إلى مئة رسالة (Rotelle.E, 1990:05)، كما بلغت رسائله الاجمالية من سنة (386م) إلى غاية أوت(430م) قرابة (276) رسالة(Delabriolle.P ,1926, :30)، ولم تكت رسائل أغسطين دينية بحتة، بل شملت كل الاتجاهات والتخصصات فمنها السياسية التي أرسلت إلى الأباطرة والقناصلة، ومنها الاجتماعية التي عالجت أمور المجتمع، وتعتبر الخمسة عشر السنة الأخيرة من حياته الأكثر ثراء أدبيا. (Lepelley.C 1981, :447).

المنارة للاستشارات

ب-2 التربية والتعليم :

اهتمت الحضارات القديمة بالتربية والتعليم وشكّلت المدارس جزء من الحياة اليومية لتلك المجتمعات، كما حظي المعلمُ بمكانة خاصة في المجتمع من احترام وتبجيل ورعاية، ولم تكن مدن الجزائر قديما مستثناة من ذلك حيث وُجدت فيها مدارس، والدليل على ذلك كتابات الأسقف أغسطين التي بينت وجود التعليم بمختلف أطواره وأكد شخصيا أنَّه التحق بالمدرسة بسن مبكرة وهو بالكاد بلغ ستة سنوات حيث تعلم مهارات الحساب وقواعد اللغة اللاتينية في مدرسة تاغاست (سوق أهراس الحالية)، ولم يتوقف في هذه المرحلة بل واصل تعليمه من خلال انتقاله إلى مدرسة مادور (مداوروش الحالية) لدراسة النحو والبلاغة وفنون الخطابة وهو في سن الثانية عشر وبقي فيها قرابة ثلاثة سنوات (Mandouz.A 1982 :774).

بعد ما اكتسب مجمل المعارف الخاصة بالتلاميذ في تلك المرحلة انتقل إلى قرطاجة سنة (370م) لمواصلة تعليمه العالي لدراسة الأدب الاتيني والفلسفة وبقي هناك قرابة الخمس سنوات، ومنها عاد إلى مدينة مداوروش واشتغل فيها معلما للبلاغة والنحو، وبالتالي يُعتقد أنَّ أغسطين بقي يدرس إلى غاية سنة(382م) بعدها هاجر إلى قرطاجة ثم روما، كما يُعتقد أنَّه بعد التدريس في مدينة مداوروش بدأ رحلته العلمية في روما سنة (388 م) واستمر حتى سنة(391م) (Bouton-Toubouli.C,2002:187).

مباشرة بعد وصول أغسطين إلى هيبون بدأ في حركة دؤوبة ونشطة من خلال الاهتمام بالمنشآت الدينية والخدماتية وباشر في بناء الأديرة والكنائس حيث أسَّس مباشرة ديرين سنة(391م) لتعليم مبادئ اللغة والدين، (Perler.O, 1955, :179) كمَا حوَّل أحد مساكنه إلى دير سنة(412م) (Lepelly.C,2001, :102)، لسكان الأرياف بالقرب من مدينة هيبون (Saxer.V, 1980 :182)، ويُعتقد أنَّ المدة التي شغلها أسقفا في مدينة هيبون والتي قاربت أربعين سنة أعطى فيها قوة للحركة التعليمية والمعرفية، فخصَّص أديرة على شكل مكتبات صغيرة، وأنشأ مكتبة عمومية دينية لرفع المستوى التعليمي والثقافي (Tlili.N,2000:163)، ومكتبات صغيرة داخل الكنائس (Rotelle.E,,2001 :294)، كذلك أنجز أغسطين بعد مؤتمر قرطاج العديد من المدارس الدينية لتعليم المسيحية والكتابة، ويُعتقد أن كثافة التعداد البشري في المجمع الكنسي في مدينة هيبون المتكون من الأساقفة ونواب الأساقفة والشماسة والكهنة والقراء (Mandouz.A 1982 :1267)دليلا واضحا على وجود التعليم في مدينة هيبو ريجيوس خلال فترة الأسقف أغسطين لأنَّ الكثير من هؤلاء يتم توجيه بعضهم الى تعليم اللغة والخطابة واللاتينية .

ب-3. الطب:

عانت المجتمعات قديما من الأمراض والأوبئة التي أدت في بعض الأحيان إلى الفتك بأفراد المجتمع، ونظرا لتفشي الأمراض في هذه المجتمعات ظهر الطب كضرورة حتمية، هذه المهنة أقرت بوجودها المصادر القديمة بمختلف أنواعها(الأثرية والأدبية)، لكن تبقى المصادر القديمة أكثر ذكرا لأسماء الأطباء في منطقتنا(الجزائر)، وتم تسجيل على الأقل 20 طبيبا منتشرين في مدن بالشرق الجزائري والوسط) ما بين القرن الاول ميلادي إلى غاية الخامس ميلادي(Bel Faıda. A, 2006:730) . ومن بين المصادر الأثرية لدينا

المنارة للاستشارات

النقوشات اللاتينية والإهداءات الجنائزية التي تعتبر مادة خبرية في غاية الأهمية التي كشفت أسماء الأطباء والمدن الذين عملوا فيها، وظهرت الكثير من الأسماء في ميدان الطب والتمريض والبيطرة نذكر من بينهم الطبيب لوكيوس أوليوس (L. Aelius) من مدينة شرشال القرن الأول ميلادي . والطبيبة كيايا فيكتوريانا(Caelia Victoria) من مدينة سوق أهراس القرن الثاني ميلادي(Bel Faıda. A, 2006:737)، على الرغم من بعد فترة الزمنية بين القرن الأول والخامس ميلادي إلا أن الطب تواصل وجوده إلى غاية فترة الأسقف أغسطين وما بعدها، ومن بين الأطباء الذين تم تسجيلهم بعد أغسطين نجد الطبيب (Rozonus) من مدينة (كارتينا) تنس سنة 457م (Bel Faıda. A, 2006:737)، كذلك عرف الطب تطوراً أكثر من حلال مؤلفات الطبيب كاسيوس فيلكس (Cassius Felix) الذي عاش في مدينة سيرتا (Cirta) (قسنطينة حاليا)، وقام بترجمة الكتاب الإغريقي الطبي (De Medicina) والتعليق عليه في منتصف القرن الخامس الميلادي (Vázquez.Bújan.M, 200831). من خلال هذه الأسماء يمكن اعتبار أن الطب كان موجودا قبل الأسقف أغسطين وبعده .

أثناء الإقامة في روما لدراسة الفلسفة اعتبر الأسقف أغسطين أنَّ الولوج إلى عالم الطب أكثر من ضرورة، وأنَّ احتكاكه في روما ابتداءً من سنة (383م) إلى غاية سنة (388م) فرصة مواتية لكسب العديد من المهارات المعرفية خارج الإطار الفلسفي، وأثناء الدراسة المكثفة في المدارس بروما أكتب أغسطين مختلف العلوم من خلال دراسته واحتكاكه مع الفلاسفة والحكماء ورجال الدين والأطباء (Rotelle.E, 2001 :15). هذه المدة الزمنية التي قضاها أغسطين في روما بدون شك اكتسب من خلالها مهارات معرفية علمية عديدة من بينها معارف طبية مكنته من الاعتماد عليها وتقديمها على شكل وصايا طبية فيما بعد.

استطاع كذلك إلى حدٍ ما تشخيص الكثير من الأمراض بمختلف أنواعها، وقد استُنتج ذلك من خلال الكم الهائل من كتبه وخطبه ومواعظه، حيث ومن بين خمسة ملايين كلمة في مجمل أبحاث الأسقف أغسطين تمَّ تحديد سبعة آلاف عبارة لها علاقة بالطب أو ربما مجازا على ذلك منها مائة وسبعة عبارة لها علاقة مباشرة بالطب (Rassinier.j 1991 :65)، شخَّص الكثير من الأمراض منها مرض السرطان وشلل الأطفال والتشوهات الخَلْقية والسعال المزمن ومرض العيون والإسهال والتهاب الجهاز التناسلي، كما تطرق إلى الأمراض النفسية ومنها العقلية ووصفهم بأصحاب الأمراض الحقيقية (Rassinier.j, 1991 :68). تعتبر الوصفة الطبية إنتاجا علميا تعبِّرُ عن معرفة صاحبها بالمرض وأهم مسبباته، وبالتالي فإنَّ صاحب الوصفة الطبية بدون شك يملك معرفة طبِّية كبيرة ومن هذا المنطلق يمكن أن نطرح التساؤل الآتي: هل قدَّم الأسقف أغسطين بعض الوصفات الطبية؟

أشار الأسقف أغسطين في مصادره (كتاب الاعترافات ومدينة الله) أنَّه تدخَّل طبيا في أكثر من مرة، من خلال معالجة أحد الأساقفة من داء البواسير (Mandouz.A, 1982 :602)، كما عالج أحد الرعايا السوريين سنة(426م) يدعى باسوس (Mandouz.A, 1982 :136)، كما قدَّم بعض الوصايا الطبِّية أو الوقائية منها الاستحمام الدوري والحرص على النظافة والاستماع إلى الطبيب (Monceaux.P,1913:591)، كما أوصى الأمهات والمربيات بضرورة الاستمرار في ارضاع أولادهن حتى

المنارة للاستشارات

يبلغوا العام الثالث، (Benseddik.n, 2009 :106) وأوصى أيضا بمعالجة الأعراض والأمراض النفسية قبل الجسدية، ونصح بتجنب القلق والغضب باعتبارهما من المسببات الحقيقية لأمراض الجسم ونصح كبار السن بتفادي التعب والأعمال المرهقة (Rassinier.j, 1991 :6)، وفي هذا الجانب ومن أجل الاهتمام أكثر بالفئات الهشة في المجتمع أنشأ ديراً مخصصاً لإطعام الجوعى واحتضان المعوزّين والمسنّين (Munier.Ch,1982:222).

كذلك من خلال معرفته الطبية التي اكتسبها في روما خلال دراسته وقراءته للطب وملاقاته للأطباءاكتسب تجارب طبية أفاد بها بعض الأطباء من بينهم الجراح ألكسندرينوس (Alexandrinvs) والطبيب أمونيوس (Ammonivs) وديوسكوروس(Dioscorvs) وفانديكيانوس (Vindicianus) (Mandouz.A,1982 :279)، أمَّا من ناحية الهياكل العلاجية فلقد أنشأ أغسطين ديراً مخصصا لتقديم العلاج المرضى ودعَّمه بممرِضات تقمن بتقديم الطعام والدواء اللاَّزم (Monceaux.P, 1913 :582).

تبين إهتمامات الأسقف أغسطين بالطب وتشخيص الأمراض وكيفية الوقاية منها دليلا واضحا أنَّه لم يكن تركيزه فقط على الجانب اللاهوتي .

ب-3 تحرير العبيد:

تعتبر العبودية ظاهرة اجتماعية ميَّزت الشعوب القديمة وازدادت درجة العبودية في الفترة الرومانية من خلال التطور الاقتصادي والاجتماعي وكثرة المنشآت . فكانت تحتاج إلى يد عاملة، هذه الحاجة الملحة أدت إلى زيادة فئة العبيد في المجتمع . وأصبح العبد العصب الحيوي في الحياة اليومية والمحرك الأساسي للاقتصاد من خلال تواجدهم في المدن الرومانية، كانت مدينة هيبون كباقي المدن الرومانية تزخر بالاقتصاد والتجارة المتميزة خلال القرن الأول ميلادي واستمر هذا الثراء إلى غاية القرن الخامس ميلادي، أدى هذا الحال إلى وجود الكثير من العبيد ذوي اختصاصات متنوعة (Decret.F,1985:680)، هذا العدد الهائل جعلهم ليس فقط كيدٍ عاملةٍ بل كمورد تجاري من خلال بيعهم في الأسواق وتأكد هذا الأمر من خلال ورود فئة من العبيد في التعريفة السوقية مع الحيوانات والمواد الغذائية وتم الإشارة لهم بأن تكلفت العبور العبد الواحد يكلف سيده حوالي (06سترس) وهي تعريفة متساوية مع تعريفة الحيوان، (Trousset.P, 2002:363). هذا المصدر بين إلى حد ما أن فئة العبيد في درجة متدنية في السلم الاجتماعي بل تصنف مع الحيوانات، هذه الأوضاع والتراتبية الاجتماعية جعلتهم عرضة للخطف والأسر لأنهم تجارة مربحة، لكن لخطورة الأمر في تلك الفترة ونظرا لتفشي هذه الظاهرة الخطيرة المحدقة بالناس كان لأغسطين مواقف تحسب له حيث أكد في إحدى خطبه أنه تدخله شخصيا من أجل تحرير مجموعة من الأفراد تمَّ خطفهم والقيام ببيعهم، كما اعتقل الخاطفين وحارب ظاهرة الاتجار بالبشر (Pottier.b, 2008:85).

ذكر أغسطين في خطبه أنَّه حرَّرَ مجموعة من النساء وجدن في مدينة هيبون من أجل بيعهن كعبيد (Lepelley.C, 1981:458)، وتدخَّل أكثر من مرة في مزارع ريف مدينة هيبون من أجل إنهاء معاناة العبيد وتوبيخ المزارعين الذين كانوا سببا في معاناتهم (Pottier.B,2008 :185). تدخل أيضا سنة (410 م)

المنارة للاستشارات

وعمل على إنهاء أعمال عنف وتحرير العبيد والأسرى الذين وقعوا جراء اقتتال طائفي بين الكاثوليك والدوناتيين (Mandouze.A,1982 :697).

حرَّر الأسقف أغسطين تقريبا مائة وعشرين عبدا كانوا أسرى من أجل تصديرهم (Berrouad.f,1985 :68)، ولم يكتفِ بالتحرير فقط بل أحال المتسببين في عمليات الخطف واستعباد الناس إلى المحكمة الأسقفية للنظر في قضاياهم (Baccouche.E,2012 :258)، كما ناشد وكشف الأوضاع المأساوية لعمال المناجم وطالب بالتخفيف عن معاناتهم وفك أسرهم بعدما وقعوا بين أيدي تجار البشر والأشرار(Baccouche.E,2012 :261)، كذلك تدخَّل في أكثر الاوضاع خطورة من خلال توقيف قائد ميليشيا وإحالته إلى المحكمة الأسقفية برفقة أتباعه (Baccouche.E,2012:259).

ونظرا لخطورة الأوضاع الإجتماعية واستفحال ظاهرة تحويل الناس إلى عبيد، راسل أغسطين الامبراطور فلافيوس اونوريوس من أجل إصدار قانون يمنع تحويل أفراد المجتمع إلى عبيد (Lepelley.C,1983 :275) ؛ هذه الإرسالية تعبر إلى حدٍ ما عن سعي الأسقف أغسطين إلى إيجاد صيغة قانونية لحماية الناس من العبودية المفرطة، حيث أشار إلى ارتفاع العبيد في مدينة هيبون إلى حد القول بأن كل بيت يملك عبداً (Decret.F,1985 :680). وهذا ما يبرر الإنتشار الواسع للمنشآت الخدماتية والإدارية والترفيهية(Marec.E, 1950:15)، هذه المنشآت التي تحتاج إلى عدد كبير من العبيد لتسييرها والعمل بها .

تقريبا كل تدخلات أغسطين في المزارع والأرياف كانت في مجملها تمس الطائفة الكاثوليكية من أجل الحفاظ عليها ومنع أي استغلال من طرف الدوناتية لكي كانت تستهويهم وتضمهم إلى الصف الدوناتي.

ب-4 ترقية العبيد:

من أهم الأعمال التي بيَّنت اهتمام الأسقف أغسطين بطبقة العبيد وتشريفهم، أنَّه كلَّف بعضهم بحمل الرسائل الدينية والسياسية إلى روما أو مدن أخرى، وكانت وظيفة حمل الرسالة من أنبل المهن في السلك الديني حيث تشَّرف الكثير من رجال الدين (قساوسة، الشماسة، أساقفة، قراء) بحمل رسائل أغسطين، لكن على الرغم من نبل ورفعة هذه الوظيفة فقد وُجد بعض العبيد ممَّن حملوا هذه الرسائل (Paoli-Lafaye.E, 2009 :129)، من بينهم العبد الكنسي كونكورديالس (Concordialis) الذي حمل رسالة من الأسقف أغسطين إلى الأسقف أناستاسيوس (Anastasius)، والعبد لوبيكينيوس (Lvpicinvs) الذي رافقه في المهمة العبد كونكورديالس. (وابل .أ.2019:85)

نظرا لأهمية الرسائل وعددها المعتبر كلَّف الأسقف أغسطين عبيدا آخرين بنقل رسائله حيث سجلت الكتابات أسماء أخرى مثل العبد لوكاس الذي حمل رسالة من الأسقف أغسطين إلى الأسقف جون بالقدس سنة(416م) (Mandouze.A,1982:645)، كما حمل العبد باربارس سنة (429م) رسالة من أسقف أغسطين إلى الأسقف أوديوس المقيم في مدينة أوزاليس بالقرب من أوتيكا (وابل .أ.2019:85)، أمَّا في مجال الترقية فتمت ترقية بعض العبيد إلى مراتب دينية نذكر من بينهم العبد برباراس (Barnabas)

المنارة للاستشارات

سنة (411م) إلى رتبة قسيس (Mandouze.A, 1982:135)، من خلال هذا التكريم والترقية يُستنتج أنَّ هذا العبدأصبح له مكانة رفيعة في الوسط الكهنوتي. ربما هذا الاهتمام من الأسقف بطبقة العبيد له جانب إيجابي وهو تدعيم الكاثوليكية وشق صف الدوناتية من خلال تبني عبيد الدوناتية وتحريرهم وتحولهم إلى المذهب الكاثوليكي.

ب-5 . جلسات الصلح:

على الرغم من غياب مثل هذه المبادرات في المجتمعات قديما إلاَّ أننا رأينا بعض الإشارات في الكثير من رسائل أغسطين ووجود مؤشرات تدل على جلسات صلح أو محاولة التقريب بين المختصمين، ولم يكن يلجأ دائما إلى الإجراءات التأديبية لحل النزاعات وردّ المظالم التي يتكلف بها القضاء الأسقفي (Baccouche.E, 2012 :251) بل شارك ودعى المتخاصمين إلى جلسات صلح قبل القضاء، ومن أشد النزاعات التي كانت في فترة الأسقف أغسطين هو النزاع حول الأراضي الزراعية والاستيلاء العشوائي عليها خاصة سطو رجال الدين، حيث استطاع أن يتدخل شخصيا في ارجاع قطعة أرض إلى صاحبها سنة (408 م) وإنهاء مهام رجل الدين الذي استولى عليها (Mandouze.A, 1982 :842).

كذلك تدخَّل في إنهاء نزاع حول عقار فلاحي بتوبيخ المزارع فيكتور (Victor) الذي استولى عليها بطرق مشبوهة وأرجعها لمالكها الحقيقي ليكيوس (Licinius) (Baccouche.E,2012 :254)، كما أرجع مجموعة الأراضي الزراعية لبعض السكان في قرية فوسالة التي استولى عليها رجل دين وأحاله إلى المحكمة الأسقفية سنة (416م) (Lakhlif.M, 2016, :25) كما أنصف كذلك امرأة ريفية تعمل في مجال النسيج وغزل الصوف بعدما تعرضت لمضايقات من طرف رجل دين (Baccouche. E,2012: 259).كذلك في جانب رد المظالم للنساء تدخَّل أوغسطين في حادثة وقعت في إحدى المنشآت الدينية بمدينة هيبون؛ حيث تعود مجريات الحادثة إلى إهانة راهبة تدعى فليستا من طرف الأسقف ريستوكوس سنة (423م)، هذا الأخير تم توبيخه من طرف الأسقف أغسطين ورد الاعتبار للراهبة كما يعتقد أنَّها رُقيت لمنصب أعلى (Monceaux.P, 1913:573)، يتعتقد أن مجمل تدخلاته في الصلح وتقريب الخصوم كانت في أغلبها داخل الطائفة الكاثوليكية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرصه في تماسك الطائفة الكاثوليكية ومنع تصدعها، وخوفا من اختراق الطائفة الدوناتية للأفراد وتغذية الصراع بينهم.

ج.- خلاصة :

على الرغم من الاتهامات التي لحقت بأغسطين من خلال خصومه الدوناتيين إلاَّ أنَّه ساهم إلى حدٍ ما في بعض الأعمال الخيرية والاجتماعية والإنسانية في مدينة هيبون، وانعكست ايجابا على المجتمع. ومنه نقول أنَّ الأسقف أغسطين لم يكن رجل دين فقط أو مهتم باللاهوت، بل شارك أفراد مجتمعه في التنمية المحلية إضافة إلى الاهتمام بقضايا الإنسان، كذلك ساهمت أعماله خاصة الفكرية منها في البناء التاريخي للمجتمعات قديما وأصبحت من أهم المصادر التاريخية التي يعتمد عليها المؤرّخون في كتابة تاريخ الشمال الإفريقي، كذلك بفضل الأسقف أغسطين أصبحت مدينة هيبون من أشهر المدن في العالم المسيحي خلال القرن الخامس ميلادي كذلك لعب أغسطين دورا مهما في لم شمل الطائفة الكاثوليكية

المنارة للاستشارات

التي غانت التمزق والانشقاق، كذلك يمكن اعتبار أعمال الأسقف أغسطين تجاوزت حدود مدينته من خلال انعكاس صداها في روما والمدن الاخرى .

المصادر والمراجع

1. وابل أ، (2019)، قراءة تاريخية لأوضاع العبيد في مدينة هيبون (من القرن الثاني ميلادي إلى غاية القرن الخامس ميلادي) المواقف، المجلد 15، العدد : 02، ديسمبر 2019، صص.74-95.
2. Baccouche, E. (2012).observations sur l'autorite de l'eglise d'afrique a la lumiere des nouvelles lettres de saint augustin,REVU IBLA , TUNIS , • n° 210•, pp. 239-266
3. Belfaïda, Abdelaziz, (2006), Emigration du savoir: médecins en Afrique Romaine (apport de l'épigraphie), L'Africa romana XVI, pp. 729-740
4. Benseddik,N. (1986). la pratique medicale en afrique au temps d'augustin, africa romana, vi, 663-682.
5. Benseddik ,N. (2009).manus lanis occupate femmes et metiers en afrique, antiquites africaines, 45, 103-118.
6. Berrouad ,M.F.(1985). un tournant dans la vie de l'église d'afrique , les deux missions d'alypius en italieà la lumière des lettres 10*, 15*, 16*22* et 23*a de saint,augustinrevue des études augustiniennes,31, pp.46-70.
7. Bourgeois ,C.(1980).les vandales, le vandalisme et l'afrique, antiquités africaines , 16 , 213-228
8. Bouton-Touboulic ,I.(2002).boece et augustin : la consolation de philosophie comme nouveau de ordine", vita latina, 184-202
9. Christol ,M.(2006).remarques sur la carrierede lucius mummius faustianus,consul ordinaire en 262 l'africa romana xvi, rabat , roma, 1839-1870.
10. Decret ,F.(1985). augustin d'hippone et l'esclavage. problems poses par les positions d'un evêque de la grande eglise face a une réalité social dans l'afrique de l'antiquité tardive "dialogues d'histoire ancienne, anne . 11, 674-685.
11. Delabriolle ,P .(1926).pourquoi saint augustin a-t-il rédigé des confessions ? ,bulletin de l'association guillaume budé ,12, 30-47
12. Gascou,J.(1972).la politique municipale de l'empire romain en afrique proconsulaire de trajan a septime sévère, ecole française de rome, rome.
13. Joubert ,C .(1992). le livre xiii et la structure des confessions de saint augustin revue des sciences religiousness 66-1-2,77-117
14. Lakhlif ,M .Saint Augustin Et La Langue Punique",ASINAG, 11, 2016,2016, 25-28.
15. Lepelley ,C. (1981). la crise de l'Afrique romaine au debut du ve siècle, d'âpres les lettres nouvellement découvertes de saint augustin ,comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles-lettres, année .125-3 ,445-463.
16. Lepelley,C .(1983).l'apport des lettres de saint augustin nouvellement découvertes a la connaissance de l'Afrique romaine "essai de bilan, histoire et archéologie de l'Afrique du nord, iie colloque international, congres des sociétés savantes, 108e, grenoble, paris , 273-288.
17. Lepelly,C. (2001) . la lutte en faveur des pauvres observations sur l'action sociale de saint augustin dans la région d'hippone, pp.96-109,p.98.,actes du colloque international, Alger
18. Mandouze ,A. (1982).prosopographie chrétienne du bas-empire de l'afrique chrétienne (303-533) ,ed. CNRS, Paris .
19. Marec ,E. (1950).Hippone la royal antique Hippo Regius. ,Alger.

المنارة للاستشارات

20. Monceaux, P. (1913).un convent de femmes a hippone au temps de saint augustin, comptes rendus des séances de l'academie des inscriptions et belles-lettres, 57, 570-595.
21. Morazzani, A. (1966). essai sur la puissance maritime des vandales "bulletin de l'association guillaume budé, 25, 539-561.
22. Munier ,Ch.(1982), problèmes de prosopographie africaine relatifs a la lettre 20* d'augustin revue des sciences religieuses ,1982 , 220-225
23. Paoli-Lafaye, E. (2009).messagers et messages la diffusion des nouvelles dans la correspondence d'augustin, publications de la maison de l'orient et de la mediterranean, 40, 125-141.
24. Perler,O. (1955).l'eglise principal et les autres sanctuaires chrétiens d'hippone-la-royale d'après les textes de saint augustine, revue des etudes augustiniennes ,vol. i, 4, 300.341.
25. Pottier ,B. (2008).les circoncellions. un mouvement ascétique itinérant dans l'Afrique du nord des ive et ve siècles, antiquités africaines, 44, 43-107
26. Rassinier ,J.P.(2012). l'heresie comme maladie dans l'œuvre de saint augustin mots , les languages du politique,26, 65-83.
27. Rotelle, E,J, (2001).the works of sain agustine a translation for the 21st century letters 1 – 99, augustinian heritage institute , new york
28. Salaville,S.(1922). la connaissance du grec chez saint augustin revue des etudes byzantines ,127-128, 387-393
29. Sarr, P. (2006).administration et discipline ecclésiales dans l'afrique chrétienne d'après quelques lettres de saint augustin dialogues d'histoire ancienne , 32-1 , 83-100
30. Saxer,V.(1980). morts, martyrs, reliques en afrique chrétienne aux premiers siècles, les témoignages de tertullien, cyprien, et augustin à la limier de l'archéologie africaine, éditions beauchesne. Paris.
31. Tlili ,N.(2000). les bibliothèques en Afrique romaine dialogues d'histoire ancienne , 2000 26-1 , 151-174
32. Trousset ,P. (2002). le tarif de zaraï, essai sur les circuits commerciaux dans la zone présaharienne, antiquités africaines , 38-39, 355-373.
33. Courcelle, P. (1947), Saint Augustin, La cité de Dieu, texte et traduction avec une introduction et des notes, par Jacques Perret, 1946 Revue des Études Anciennes , 49-3-4, 358-359.
34. Rotelle, E,J,(1990), The Works Of Saint Augustine, Vol. 1,Letters 1- 99,New City Presshyde Park, New York
35. Vázquez-B, M,(2008), quelques remarques quelques remarques sur le vocabulaire médical de l'antiquité tardive", encore sur la dénomination de la maladie ,alma.66,pp.29.45

المنارة للاستشارات